مقدمة:

بعد قرون من السيطرة العثمانية على الوطن العربي، بدأ الإنسان العربي يعي تهميشه، ويدرك عمق الهوة التي تفصله عن الغرب، وذلك منذ نهاية القرن الثامن عشر؛ إثر حملة نابليون بونابرت على مصر 1798م، ولذلك بدأت شخصيات عديدة من المثقفين العرب تطرح أسئلة مثل: لماذا تأخرنا إلى هذا الحد؟ كيف استطاع الغرب أن يتجاوزنا هذه المسافة كلها؟ ماذا علينا أن نفعل للحاق به؟

عكست تلك الأسئلة نزوع الإنسان العربي نحو التحرر والاستقلال وتغيير أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وفي سياق محاولة الإجابة عن تلك الأسئلة الواقعية بدأت تظهر أفكار وتصورات جديدة لتغيير الواقع القائم، سواء بالدعوة إلى إصلاحه أو خلق واقع جديد. كانت تلك البدايات الأولى لظهور التيارات الفكرية والسياسية في الوطن العربي.

وتعد التيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية التي ظهرت في الوطن العربي مع بداية القرن العشرين، وعكست مصالح مختلفة، ثمرةَ التفاعلِ ضمن المجتمع العربي في مرحلة تاريخية محددة؛ إذ إنها بلورت هموم الإنسان العربي وتطلعاته نحو التحرر والاستقلال وتغيير أوضاعه المختلفة عن طريق تأطير أفكاره وتوجهاته ونمذجتها.

إن بروز التيارات السابقة كان نتاجاً لاختلاف المصالح الاقتصادية للطبقات الاجتماعية، كما كان نتيجة تأثر الفكر العربي بالفكر الغربي الذي جاء نتيجة للثورات التحررية العالمية مثل الثورة الفرنسية عام 1789، وكذلك الثورة الاشتراكية البلشفية في روسيا عام 1917 والثورة الماركسية الماوية التي انتصرت عام 1949، كما تأثرت تلك التيارات السياسية العربية بالفكر الرأسمالي العالمي وأنظمته الليبرالية؛ الأمر الذي دفع الإنسان العربي للنزوع نحو التقدم الحضاري واللحاق بركب الأمم المتقدمة؛ فضلاً عما سبق كان لموقع الوطن العربي وأهميته الجيوسياسية والاقتصادية والتاريخية والدينية دور في البحث عن أفكار تسهم في تغيير واقع الإنسان العربي.

Scanned with CamScanner

أولاً – تعريف التيار السياسي:

هو عبارة عن منظومة تتسم بالشمولية والجماعية يجمعها فكر اكتسب قوّة وتأثيراً في المجالات: الفكرية، والتطبيقية، والاجتماعية، والسياسية.

وبالتالي فإن التيار ما لم يؤثر اجتماعياً وسياسياً لا يسمى تياراً، وهو ما يقود إلى صوغ أنظمة ومفاهيم كالرأسمالية والديمقراطية والعلمانية وغيرها. هذا يعني أن التيار هو ما اكتسب زخماً فكرياً وبعداً اجتماعياً وتأثيراً سياسياً في حياة المجتمع.

ويستخدم مصطلح التيار للتعبير عن تعدد الآراء والأفكار أو المواقف تجاه قضية أو هيئة واحدة، ويكتسب التيار صفة الاستمرارية في حال الانتقال من الفكر إلى التنظيم في حركة أو حزب أو .....

ثانياً – التيارات السياسية في الوطن العربي

1– ظروف نشأة التيارات السياسية:

نتيجة الاحتلال العثماني (1516– 1918) للوطن العربي، حدثت قطيعة واضحة بين العرب والغرب، وتم عزل الثقافة العربية؛ الأمر الذي حال بينها وبين التفاعل مع الثقافات الغربية . وبحسب قول المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي (1754– 1822): "إنّ العرب لم يعوا الهوة السحيقة التي تفصل بين العرب والغرب، إلا بعد الحملة الفرنسية على مصر 1798م ؛ إذ تعرفوا من خلالها على المنجزات العلمية والحضارية الغربية، وإنهم قبل هذه الحملة كانوا في سبات عميق".

لم تكن مسألة التقدم العلمي والنهوض الحضاري والديمقراطية السياسية، وأهمية التربية ووجوب إشراك الشعب في الحكم واردة لدى رفاعة الطهطاوي (1801– 1873) إلا عندما سافر إلى باريس، وعاد بكتابيه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)،

Scanned with CamScanner

و(مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية). وإن مناداة جيل النهضة العربية في القرن التاسع عشر بالديمقراطية والعدالة والمساواة والأخذ بأسباب العلم لم تكن إلا أثراً من آثار حملة نابليون على مصر حيث تعرف المصريون على الحضارة الغربية.

ينطبق ما سبق على معظم المفكرين في عصر النهضة وأعلامها في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، أمثال: بطرس البستاني، وعبد الرحمن الكواكبي، وإبراهيم اليازجي، وعبد الله النديم، وشبلي شميل، وفرح أنطون، وطاهر الجزائري، وصدقي الزهاوي، وعبد الحميد الزهراوي، وجرجي زيدان، وفؤاد صروف، وغيرهم ...

كان للاحتكاك بالغرب الاستعماري، وانتشار التعليم، ونشوء الجمعيات الثقافية والحركات السياسية الدور الأبرز في جعل الأسئلة تتوالى من مواقع مختلفة، ومن هذه الأسئلة:

- ما أسباب ضعف الشرق حتى يتمكن الغرب من اجتياحه والتغلب عليه؟
- كيف ننهض من كبوتنا ونصلح حياتنا؟
- ما السبل للخروج من حالة الركود والجهل والتخلف إلى حالة الحركة والتقدم العلمي والقوة؟ [1]
- هل نصلح المجتمع بالعلم أم بالدين؟
- ما موقفنا من النظام السياسي؟ كيف يمكن إصلاحه؟
- هل نصلحه أم نستبدله بنظام آخر؟
- هل نحافظ على الخلافة الإسلامية؟ أم نستقل عنها ونقيم مجتمعات قومية علمانية؟

[1] محمد عزام، الاتجاهات الفكرية المعاصرة (من الفلسفة إلى الحداثة)، منشورات وزارة الثقافة في ج.ع.س، دمشق 2004، ط1، ص132.

Scanned with CamScanner

- هل نقبل على الثقافة الغربية أم نرفضها كلية أو جزئية؟

- ما طبيعة الغرب؟ وما طرق التعامل معه؟

ما سبق يمثل بعض التساؤلات التي أثيرت في بدايات عصر النهضة العربية، ومن خلال طرح الأسئلة ومحاولات الإجابة عنها، ظهرت ثلاثة تيارات فكرية -- سياسية: تيار الإسلام السياسي، والتيار القومي، والتيار الاشتراكي، سنعرض أبرز أفكارها ومفكريها وأحزابها وتنظيماتها.

2- أنواع التيارات السياسية:

أ- التيار الديني (تيار الإسلام السياسي):

إن التيار الإسلامي اكتسب خصائص معينة من واقع ظروف نشأته، وهي خصائص حكمت إلى حدٍّ كبير توجهاته الفكرية وأهدافه السياسية، ففي المرحلة التأسيسية للتيار الديني نادى بالإبقاء على فكرة الخلافة الإسلامية بوجه الغزو الأوروبي، غير أن هذا التيار كان منقسماً بدوره بين جماعة محافظة تقليدية تتمسك بالنظام القائم ومؤسساته، وجماعة إصلاحية رفضت المؤسسات والتقاليد السائدة في ذلك الحين وطالبت بالعودة إلى منابع الإسلام ونقاوته الأولى (نسمي هنا الجماعة الأولى تقليدية والجماعة الثانية سلفية).

كانت الجماعة التقليدية مرتبطة بالخلافة العثمانية والعائلات البرجوازية الكبرى التقليدية، ومما ساعد في استغلال الدين، إخضاع المحاكم الشرعية للتنظيم السياسي الرسمي وجعلها جزءاً لا يتجزأ من جهاز الحكم، مما جعل للنافذين من رجال الدين دوراً مهماً في أجهزة الحكم فمالوا نحو المحافظة السياسية، وعارضوا الإصلاح انسجاماً مع مواقفهم الطبقية في النظام، ولكنهم لم يتمكنوا من التعبير عن أيديولوجيتهم بأسلوب فكري

Scanned with CamScanner

منهجي لاعتقادهم الراسخ بأن ليس هناك شيء جديد يمكن أن يُقال، ومن أبرز من مثّل هذا التيار الشيخ أبو الهدى الصيادي الذي عمل مستشاراً للسلطان عبد الحميد وشارك في اضطهاد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي[1]، وأيضاً هاجم الوهابية وغيرها من الحركات السلفية كونها شكلت تحدياً للخلافة العثمانية وليس لأنها قدمت رؤية دينية مخالفة للرؤية التقليدية المحافظة.

وقد شكلت الوهابية برؤيتها الفكرية وممارساتها العملية أساساً للتطرف والإرهاب وانتشار الفكر التكفيري الذي يتخذ موقفاً رافضاً وعدائياً لكل من يخالفه، كما وتتخذ موقفاً معادياً من الاتجاهات الفكرية ذات التوجُّهات الحضارية والتقدمية، وقد ارتكزت الوهابية إلى فتاوى عديدة صدرت من بعض رجال الدين ذوي العقلية المغلقة والبعيدة عن تعاليم الإسلام السمحة؛ حيث كانت الوهابية مرتكزاً فكرياً للحركات الإسلاموية المتطرفة في وقتنا الراهن.

• **جماعة إصلاحية:** رفضت الجماعةُ الإصلاحيةُ المؤسساتِ والتقاليدَ السائدة في ذلك الحين، وطالبت بالعودة إلى "منابع الإسلام" و"نقاوته الأولى". أما أشهر رواد الإصلاح وأكثرهم تأثيراً في الحياة الفكرية والسياسية، كان جمال الدين الأفغاني (1839-1897) الذي يعد رائد الحركة الإصلاحية، وقد نادى باقتباس أفكار ومؤسسات ليبرالية والأخذ بالعلوم الأوروبية الحديثة، وبالحكم الدستوري، وإقامة الدولة على أساس العقل، وتضامن الطوائف في وحدة المجتمع، والتمسك بالسعي والعمل وليس بالقدرية أو الغيبية من ناحية، ولكنه ظل من ناحية أخرى يرى أن الوحدة الحقيقية تقوم

[1] حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة السادسة، بيروت 1998، ص399.

Scanned with CamScanner

على الاعتقاد الديني المشترك أكثر مما تقوم على أي نوع من أنواع الولاءات الأخرى بما فيها الولاءات الوطنية[1].

ولعل أفكار جمال الدين الأفغاني في الديمقراطية والعدالة والمساواة وضرورة الأخذ بأسباب العلم والتربية الحديثة، وكذلك أفكار محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي كانت مهمة في حينها رغم أنهم تجاهلوا الأبعاد القيمية للحضارة الغربية، وخلطوا بين البعد الأخلاقي والبعد الثقافي، وبين التمدن والأخلاق، وعَدَّ كل منهم أن تفوق الإسلام الأخلاقي يفوق تقدم أوروبا الثقافي.

وقد أثر الأفغاني مباشرة بفكره في جيل كامل من المسلمين، وكان تأثيره أوسع عبر مجلة "العروة الوثقى" التي أصدرها هو وتلميذه محمد عبده في باريس 1884، وفيها أعلنا عن إنشاء تنظيم إسلامي عالمي بالاسم نفسه، ولكن بقي ذلك التنظيم أُمنية أكثر منه واقعاً[2].

فشل المصلحون المسلمون من أمثال الأفغاني، ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ... في تأسيس حركة أو تنظيم في المجتمعات الإسلامية، وكان من نتيجة هذا الفشل ظهور الحركات الإسلامية التي يفضل بعض الباحثين استخدام مصطلح "الأصولية" للتعبير عنها، وبعضهم الآخر يطلق تعبير "الإسلاموية" على الحركات التي تنشط على الساحة السياسية، وتنادي بتطبيق قيم الإسلام وشرائعه في الحياة العامة والخاصة سواء، وتعمل - بكل وسيلة في سبيل هذا المطلب - الحكومات والحركات السياسية والاجتماعية الأخرى التي ترى أنها قصرت في امتثال تعاليم الإسلام أو خالفتها، ويغلب إطلاق هذا المصطلح

---

(1) عبد الوهاب الأفندي، الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية أبو ظبي، ط1، 2002، ص23.

(2) المرجع السابق نفسه ص13.

Scanned with CamScanner

على الحركات التي تصف نفسها بهذا الوصف وتنشط في مجال السياسة. وفي الآونة الأخيرة ظهر مصطلح الإسلام السياسي أو الإسلاموية للتعبير عنها، ولا يطلق وصف "الحركات الإسلامية" على الجماعات الصوفية التقليدية التي لا تنشط في المجال السياسي؛ إنما تطلق على الأحزاب التقليدية ذات الخلفية أو المرجعية الإسلامية[1].

- **جماعات تبنت العنف:**

تميِّز الحركات الإسلامية نفسها عن التيار الشعبي العام، وتخصص هذا التمييز بنسبة نفسها إلى الإسلام، كما لو أنها تصدر حكماً على المجتمع بالتقصير عن الوفاء بقيم الإسلام، وتنصب نفسها قائماً بمهمة التذكير والدعوة وأحياناً الإكراه على تلافي التقصير، وتكون ردة فعل المجتمع بالقول نحن في مجتمع إسلامي فعلاً ولا نحتاج إلى من يذكرنا بديننا. وأمام هذا العجز عن فرض توجهاتها وبرامجها لجأت إلى استخدام العنف لتحقيق غاياتها، ومن أبرز الحركات الإسلامية جماعة **"الإخوان المسلمون"** التي أسسها "حسن البنا" في مصر عام 1928م، وقد شددت الجماعة في مبادئها على: (ضرورة مقاومة التيارات التغريبية، وإقامة حكومة إسلامية. وقد ميزت جماعة الإخوان المسلمين نفسها من حيث تنظيمها – بأنها جماعة منظمة – ومفهومها للإسلام – كما يقول مؤسسها: عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف.

وقد نشأت حركة الإخوان المسلمين في إطار الاستعمار البريطاني والتدخل البريطاني في شؤون الوطن العربي؛ إذ إن الاستعمار يعادي القومية العربية التي تدعو إلى نهضة العرب الشاملة. فكان الفكر الإخواني المعادي للقومية وللوطنية أهم سلاح استخدمه الاستعمار في مواجهة حركة التحرر القومي العربية. ويرى الإخوان المسلمون في مناهضتهم

---

[1] المرجع السابق نفسه ص23.

Scanned with CamScanner

للوطنية والقومية أن الوطن هو العقيدة وليس الجغرافيا، ويصف أحد زعمائهم الوطن بأنه ليس سوى حفنة من التراب العفن، على حد تعبيره[1].

اتخذت جماعة الإخوان المسلمين موقفاً معادياً لحركات التحرر القومية في مصر وسورية وباقي الأقطار العربية، واستخدمت العنف بجميع أنواعه في صدامها واشتباكها مع بعض الأنظمة السياسية العربية ولفترات زمنية طويلة، الأمر الذي أثر وبصورة كبيرة في الاستقرار السياسي والاجتماعي في هذه الدول ولاسيما، ضد سورية بسبب مواقفها القومية تجاه القضية الفلسطينية واللبنانية، والقضايا القومية كلها، إذ قامت بتدمير البنى التحتية وقتل العلماء وإثارة الفتن بهدف ضرب الوحدة الوطنية. وبعد فشل عملهم الإجرامي هذا قام الإخوان مرة أخرى بالتنسيق مع غلاة الإرهاب والتكفير في العالم لضرب سورية من جديد بدءاً من آذار /2011/. فما أن احتاجت أمريكا والناتو و"إسرائيل" وأتباعهم من الرجعيين العرب ضرب سورية حتى كانت جماعة الإخوان جاهزة للمشاركة في تنفيذ المؤامرة مع عدد كبير من المرتزقة والقتلة الإرهابيين من دول عديدة.

كذلك انطلقت جماعات أخرى من رفض الواقع كلياً وإدانته والعمل على تغييره بالقوة عبر العمل المسلح والأعمال الإرهابية. وهناك جماعة أبو يعلى بالجزائر، أو الشبيبة الإسلامية بالمغرب في السبعينيات، أو الإخوان المسلمون في سورية 1982م ، ومؤخراً خرج من رحم هذا الفكر جماعات تكفيرية أكثر تطرفاً وتشدداً من سابقاتها؛ إذ تستخدم العنف والإرهاب لتحقيق أهدافها، وأبرز مثال: تنظيما "داعش" و "النصرة" الإرهابيان.

وتعدّ معظم الجماعات الإسلامية إما استمراراً لحركة "الإخوان المسلمين" في مصر (وسورية والأردن ودول الخليج)، أو تابعة لها كحماس في غزة، وأخرى انفصلت عنها (الجهاد في

---

[1] سركيس أبو زيد، الفكر القومي في مواجهة الطائفية، بحث مقدم إلى مؤتمر تجديد الفكر القومي والمصير العربي، المنعقد في دمشق 15-19 نيسان 2008.

Scanned with CamScanner

مصر وفلسطين)، أو تأثرت بتعاليمها وتجاربها (جبهة الإنقاذ الإسلامي في الجزائر، وحزب التحرير الإسلامي، وحركة المجتمع الإسلامي، وجماعة التبليغ والدعوة، وجماعة التكفير والهجرة، وحزب النهضة الإسلامي في تونس، وتنظيم القاعدة، ... وغيرها) من التنظيمات المنتشرة في الدول العربية والعالم والتي تشكل بمجموعها التيار الديني السلفي.

وبالتالي يمكن تلخيص أفكار التيارات والجماعات المذكورة في النقاط الرئيسة الآتية:

- العمل في إطار المماهاة بين الدين والدولة عبر رفع شعار "الدولة الإسلامية" وشعار "الإسلام دين ودولة".
- العودة إلى الماضي.
- الشمولية أو ترابط العبادات والقيم الروحية مع القيم السياسية والاجتماعية والشرعية.
- الدعوة للعنف (الجهادية) بوصفها السبيل الرئيس للتغيير وفق منظورها. وتحول ذلك إلى ممارسات إرهابية.
- من شعاراتها: الدولة الإسلامية — الحاكمية (حكم الشرع) - الإسلام هو الحل،...إلخ.
- تركيز التيار الديني على قضايا إيمانية أكثر من تناوله الإشكالات والقضايا التي يواجهها العالم الراهن كالاقتصاد وأنماط الحكم، والتعددية.
- قابلية التنظيمات الدينية المتطرفة للتوظيف أمنياً وعسكرياً من قبل الخارج والتحول إلى أداة بيده.

وعملياً ليس هناك عبر التاريخ دولة دينية خاضعة لقانون متعال عليها، وكل ما جرى ملاحظته من وقائع التاريخ، هو وجود دول وحركات تستعمل الدين لتغطية أهدافها. وهناك تيارات تفهم الدين فهماً حقيقياً يتفق مع رسالته السمحة ويمثلها:

- **التيار الديني الوسطي:** تُعد الوسطية والاعتدال خصيصة من خصائص الإسلام، فالإسلام دين وسط يدعو إلى منهج الاعتدال في كل الأمور: في العبادات التي

Scanned with CamScanner

تحكم العلاقة بين الفرد وربه، والمعاملات التي تنظم العلاقة بين الناس بعضهم ببعض، والتشريع الذي يضبط أمور المجتمع، وعلى أساس هذا الفهم نشأ التيار الديني الوسطي وهو تيار يرتكز في أفكاره على المفهوم الصحيح للإسلام كدين الوسطية والإنسانية والتسامح (وجعلناكم أمة وسطا - سورة البقرة، الآية 143). ونشأ هذا التيار في بلاد الشام، وفي سورية بوجه خاص. وهو تيار وطني وعروبي يؤكد التكامل بين الإسلام والعروبة، ويرى في العنف ممارسة مضادة للدين (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة –سورة النحل، الآية 125). كما يرتقي بالدين عن التدخل في السياسة، ويركز جهوده على المضمون التعبيري والأخلاقي والإيماني للدين.

وتمثل المؤسسة الدينية في سورية خير مثال على هذا التيار، حيث اتخذت موقفاً وطنياً وعروبياً في مواجهة الإرهاب الذي قام باسم الإسلام.

ب – التيار القومي:

بدأ ظهور التيار القومي العربي في نهاية القرن التاسع عشر، وتطور وانتشر في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين، ويدعو هذا التيار – كما سبقت الإشارة- إلى تحقيق الوحدة بين أقطار الوطن العربي التي عمل الاستعمار على تجزئتها، والسعي إلى تحرير الأراضي العربية المحتلة جميعها، وإقامة مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية.

أكد هذا التيارُ أن القومية العربية بديلٌ عن التجزئة، وأن العلمانية بديلٌ عن تسييس الدين والإساءة إليه، والعقلانية بديل عن التفكير المجرد ، والتحرر الاجتماعي بديل عن النزوع التقليدي. وقد عملت على بلورة هذا الوعي الطبقة المثقفة في منتصف القرن التاسع عشر، وكانت الجمعية السورية العلمية التي أُسِّست عام 1857م النواة الأولى لمأسسة هذا الفكر، والتي ضمت مفكرين، مثل: محمد أرسلان، وحسين بيهم،

Scanned with CamScanner

وبطرس البستاني، وإبراهيم اليازجي؛ صاحب أولى الصرخات القومية (تنبهوا واستفيقوا أيها العرب). ومنذ ذلك الحين بدأ هذا الفكر يتمثل بجمعيات وحركات وتنظيمات وأحزاب دعا لها مفكرون من أقطار عربية مختلفة، مثل: عبد الرحمن الكواكبي، وشكيب أرسلان، وبطرس البستاني، ونجيب عازوري، وأمين الريحاني، وأنطون سعادة، وساطع الحصري، وقسطنطين زريق، وزكي الأرسوزي، ...وغيرهم.

لقد قال هؤلاء بالقومية بديلاً عن الخلافة العثمانية وعملوا في سبيلها، سواء من خلال إحياء اللغة العربية وآدابها أو بالعمل السياسي في سبيل إقامة الوحدة على أساس اللغة والإقليم والانتماء العربي، لا على أساس الدين والطائفية.

ويمكن الإشارة إلى عدد من رموز هذا التيار وفق الآتي:

- **بطرس البستاني:** أصدر بطرس البستاني نشرته "نفير سورية" عام 1860 م، وكانت أول نشرة عربية ظهرت في سورية، وفي هذه النشرة كان البستاني يستهل أعدادها بنداء "يا أبناء الوطن" ويختمها بتوقيع "محب الوطن" في توجهه إلى سائر الطوائف ليس على أساس كونهم طوائف؛ بل على أنهم أبناء أمة واحدة. وتوصف "نفير سورية" بأنها أول وثيقة مهمة في الفكر القومي العربي. ومن هذا المنطلق توصل إلى عدم الخلط بين القضايا الدينية والقضايا السياسية والمدنية[1].

كما أكد البستاني الرابطة الوطنية، حيث رفض الطائفية في مدرسته "المدرسة الوطنية" التي أسسها عام 1863 م على الحرية الدينية ومبدأ الجامعة الوطنية، وناشد البستاني مختلف أبناء الوطن نسيان الماضي والتوجه معاً إلى المستقبل "كأعضاء عائلة واحدة أبوها الوطن وأمها الأرض وخالقها واحد هو الله وجميع أعضائها من طين واحد

[1] ماهر الشريف، رهانات النهضة في الفكر العربي، دمشق، دار المدى، 200، ص196، ص197.

Scanned with CamScanner

قد تساووا في المصير إلى مآل واحد"، وكان من نتائج انتشار هذا الوعي القومي العلماني تأسيس جمعيات سرية ومجلات ونشرات وطنية.

■ **أمين الريحاني**: أكد الريحاني في كتاباته علمنة الفكر وعلمنة التعليم وعلمنة السياسة، وشدد على أن الأمة لا يمكنها أن تصبح راقية إلا بعد أن يتمتع مواطنوها بالحرية الروحية ويصير "مفكرو المسيحيين ومفكرو المسلمين يتباحثون في أي موضوع، سواء أكان دينياً أو سياسياً أو اجتماعياً من دون أن يثير ذلك في الجمهور غبار الجهل وسموم التعصب"[2].

■ **ساطع الحصري**: يُعدُّ الحصري رائد الإيديولوجية القومية العربية، وقد رفض عَدَّ الدين أحد مكونات القومية، ورأى أن تأثير الرابطة الدينية في السياسة لا يبقى متغلباً على تأثير اللغة والتاريخ، وذهب إلى حد التأكيد أن نهضة العرب القومية قد تأخرت بسبب الدعوة إلى الوحدة الإسلامية.

■ **زكي الأرسوزي**: ركّز المفكر القومي العربي السوري الأرسوزي على فكرة العروبة، واستند في ذلك إلى **فلسفة اللغة** وبحث في أسباب تخلف العرب، ورأى أن هذا التخلف يتمظهر في مشاكل ملموسة، ويأتي في مقدمها الطائفية وسيادة المنطق الرجعي، فمشكلة الطائفية جاءت نتيجة استغلال الاستعمار الأجنبي بذور التفرقة في الدين وقيامه بإذكاء النزعات الطائفية، ورأى أن **علمنة التعليم** ونشره كفيلان باستئصال جذور الطائفية وضمان لتحول المجتمع من الطائفية إلى القومية[1]. أما الرجعية فقد عرفها بأنها "منهج في التفكير وفي نمط المعيشة، ينزع إلى بعث الماضي وإلى المحافظة على العادات والتقاليد

---

[2] المرجع السابق نفسه، ص201. ص203.

[1] ماهر الشريف، رهانات النهضة في الفكر العربي، دمشق، دار المدى، 2000، ص217.

Scanned with CamScanner

الموروثة، ويتبدى على مستوى العقلية في ضيق الأفق والتعصب الفكريين، وعلى المستوى المجتمعي في الكسل والخوف من المجهول، بحيث يظهر المجتمع الرجعي، كمجتمع تحمل فيه الأجيال طابع الشيوخ".

■**قسطنطين زريق:** لاحظ زريق أن نشوء القومية في الغرب كان نتيجة تضافر ثلاثة عناصر متتالية، هي: نهضة لغوية وفكرية، وحركة إصلاح ديني، وثورة اجتماعية ديمقراطية. ورأى أن هذه العناصر لم تتوافر عندنا بعد، وعلينا النضال من أجل توفيرها، وأكد أن القومية لا تمثل الهدف الأخير لأي مجتمع؛ بل يتمثل الغرض الحقيقي للمجتمع في التقدم الحضاري أو بالأحرى في الرقي الحضاري، **وإن النضال من أجل القومية هو نضال من أجل توفير تلك الشروط اللازمة لتحقيق التقدم بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.**

خاض التيار القومي معارك محتدمة على ثلاث جبهات؛ جبهة السيطرة الاستعمارية أو الاحتلال الأجنبي، وجبهة سيطرة الطبقة البرجوازية التقليدية الكبرى (الإقطاعية منها وشبه الرأسمالية)، وجبهة دعاة الإسلاموية.

ففي معركته مع الاستعمار، انتظم الكثير من عناصره في أحزاب عقائدية، وتسلحت بالفكر القومي الذي شكل أهم عناصر الإيديولوجية السياسية العربية المعاصرة.

وعلى الجبهة الأخرى، بدأت هذه الأحزاب قومية ثم تطورت باتجاه اشتراكي، فأضافت هذه الصفة إلى اسمها الأصيل في بعض الحالات، أو جعلتها جزءاً من مبادئها واستراتيجيتها، وبعضها جاء كنتيجة لتطور تجربته، وهنا تبرز ضرورة التمييز بين أحزاب الاشتراكية العلمية، والأحزاب الاشتراكية العربية، والتي ميزت نفسها عن الأولى؛ كونها لم تأخذ بمقولة الصراع الطبقي كلياً، وتجنبت مشكلة إلغاء الملكية الخاصة، وكذلك مشكلة

Scanned with CamScanner

التحليل المادي باعتماد التحليل العيني المثالي، وقد استطاعت تلك الأحزاب تكوين نظرة فلسفية شاملة شكلت أساساً لإحداث نهضة وإقامة نظام جديد، كما شددت على التغيير الجذري في بنية المجتمع.

وعلى الجبهة الثالثة أكدت هذه الأحزاب أهمية التنوير والتعليم والحداثة وفصل الدين عن السياسة، وضرورة بناء دولة عصرية قائمة على المواطنة والمساواة والديمقراطية والوحدة الوطنية.

ومن بين أهم أحزاب الحركات العقائدية القومية التي ظهرت في الوطن العربي، الحزب السوري القومي الاجتماعي، وحزب البعث العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب.

ثالثاً– التيار الماركسي: ظهر هذا التيار في الوطن العربي نتيجة التأثر بالفلسفة المادية التاريخية التي جاء بها كارل ماركس(1818- 1883) وفريدريك أنجلز، ومن ثم الماركسية- اللينينية، وانتشارها في العالم بعد نجاح الثورة الاشتراكية في روسيا عام 1917م.

ولا جدال بأن الفلسفة الماركسية من أهم المذاهب الفلسفية في العصور الحديثة، إذ قام كارل ماركس وفريدريك أنجلز ببناء الماركسية من خلال نقد وإعادة قراءة الفلسفة الكلاسيكية الألمانية اللذان استخلصا منها المادية الجدلية (الدياليكتيكية)، **استناداً إلى قوانين الديالكتيك الأساسية:** قانون الانتقال من التراكمات الكمية الى التغيرات النوعية، وقانون وحدة وصراع الأضداد أو المتناقضات، وقانون نفي النفي.

وقد جاءت أفكارهما في البيان الشيوعي الصادر عام 1848 عن ماركس وأنجلز لتعبر عن إن تاريخ أي مجتمع حتى الآن، ليس سوى تاريخ صراعات طبقية بين الحر والعبد، النبيل والعامي، البارون والقن، المعلم والصانع، هم في تعارض دائم، خاضوا حرباً متواصلة، تارة

Scanned with CamScanner

معلنة وطوراً مستترة، حرباً كانت تنتهي في كل مرة إما بتحول ثوري للمجتمع، أو بانهيار كلتا الطبقتين المتصارعتين، والمجتمع البرجوازي العصري، الذي قام على أنقاض المجتمع الإقطاعي، لم يلغ التناحرات الطبقية، بل أحل فقط محل الطبقات القديمة طبقات جديدة، وحالات اضطهاد جديدة، وأشكالاً جديدة للنضال.

فالمجتمع كله ينقسم إلى طبقتين كبيرتين متجابهتين مباشرة البرجوازية والبروليتاريا (الطبقة العاملة).

تقوم الفلسفة الماركسية على مجموعة من الأسس، أهمها:

1- المادية التاريخية: عرَّفها أنجلز بأنها الإنتاج الاقتصادي والتنظيم الاجتماعي الناتج عنه بالضرورة لكل عصر من عصور التاريخ، يؤلفان قاعدة التاريخ السياسي والفكري لهذا العصر[1]، والسبب النهائي لكل نمو وتغير في المجتمع هو ما يحدث من تعديلات تطرأ على أساليب الإنتاج وتبادلها، وكل مجتمع وحدة حضارية متكاملة، والأوضاع الاقتصادية هي الرابط الذي يضفي عليها التماسك، والأفكار السائدة خلال فترة طويلة من حياة المجتمع هي أفكار الطبقة المسيطرة.

2- الجدل المادي: استمد هذ المفهوم من الفيلسوف الألماني هيجل الذي رأى أن التاريخ عملية جدلية من الصراع بين الأضداد، وتتخذ فيه "الفكرة" المسيطرة في كل عصر دور" القضية" التي سرعان ما تواجه "القضية المضادة" التي تتغلب عليها، ويؤدي هذا الصدام في النهاية إلى "القضية المركبة" التي تحتوي على العناصر الجوهرية من القضية ونقيضها، وتتحول كل قضية مركبة إلى قضية جديدة، ولتستمر العملية حتى تتحقق

[1] جان جاك شفاليه، المؤلفات السياسية الكبرى، من مكيافيلي إلى أيامنا، ترجمة الياس مرقص، دمشق، دار الحصاد، ط1، 2019، ص321

Scanned with CamScanner

"الدولة الكاملة"، وكان كارل ماركس يتباهى بأنه قلب نظرية هيجل رأساً على عقب، وكان ما فعله أنه وضع النظم الاقتصادية محل" الأفكار" عند هيجل.

3- نظرية صراع الطبقات: يرى أن الصراع في العصر الحديث بين طبقة الرأسماليين وطبقة البروليتاريا، الأولى مؤلفة من أولئك الذين يحصلون على دخلهم من "ملكية" وسائل الإنتاج، والبروليتاريا من أولئك الذين لابد أن يبيعوا قوة عملهم ليعيشوا.

4- نظرية الثورة: يكاد أن يكون الاعتقاد في ضرورة الثورة جزءاً لا يتجزأ من الفلسفة الماركسية، إذ تعتبر الثورة حتمية ومعنى لا غنى عنه، كونها وسيلة لإحداث التغيير الجذري في بنية المجتمع وإجراء التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية....إلخ وفق المنظور الماركسي.

5- فائض القيمة: إن أساس كل ثروة تحدده قيمتها التبادلية التي يخلقها العامل، مثال: الخشب نأخذه من الشجرة التي خلقتها الطبيعة له قيمة، ولكن ليست هذه القيمة "قيمة تبادلية" ولا تعد كذلك حتى تتحقق فيها قوة العمل التي تحولها إلى أشياء تباع وتُشترى في السوق، وقيمة جميع السلع في السوق تحددها كمية العمل الضرورية لإنتاجها[1].

وقد دخلت الأفكار الماركسية إلى بلادنا مع الثقافة الغربية بتزايد اتصال العرب بالفكر الأوروبي، ولاقت قبولاً كعقيدة فلسفية ومذهب سياسي لدى فريق من المثقفين، كما لاقت صدى لدى فريق من الناس لتلبيتها الحاجة المادية الملحة في ظروف اقتصادية صعبة، ووجد آخرون في هذا الاتجاه حلاً للتحرر من السيطرة الاستعمارية.

---

(1) أدوارد.م.بيرنز، النظريات السياسية في التاريخ المعاصر، ترجمة عبد الكريم أحمد ، بيروت، دارالآداب ،ط2 1988، ص113-114

Scanned with CamScanner

وقد تمثل الفكر الاشتراكي في بداياته الأولى في كتابات شبلي شميل (1850-1917) وفرح أنطوان (1874-1922)، وغيرهم ممن مثلوا الثقافة المضادة للثقافة السائدة وتفرعاتها.

يُعد الطبيب شبلي شميل من أوائل المفكرين، أو ربما كان أول من عني بين المفكرين العرب بالاشتراكية - كان أول من نشر بالعربية فكرة الاشتراكية، ووضع منهجاً لها في عام 1908م - كعقيدة ونظام شامل واعتمادها منهجاً علمياً في تحليله للشؤون الاجتماعية والتاريخ العربي.

بدأ شميل في تحليله للأمة معتبراً أنها في حالة السبات المتقادم التي سيطرت عليها حتى باتت في رتبة لا هي الميتة فتدفن جثة هامدة، ولاهي بالحية فتّبعث بشراً سوياً. وفي رأيه إحياء المجتمع لا يكون بالدين، بل بالعلم الذي يحرر الإنسان من الجهل والتعصب. وفي موقفه من الدين لم ينطلق من موقع نظري علمي ومن زاوية الفلسفة المادية، بل بحث من منطلق اهتمامه بتأثيراته السلبية على الفكر والمجتمع، فالمجتمعات تتقدم في رأيه بقدر ما يكون العلم منهجاً- وليس الدين - في التفسير والتفكير.

وفي السياق ذاته، نادى فرح أنطون بالعلم والاشتراكية للتحرر من الظلم الاجتماعي والتفاوت الاقتصادي، وهذا التحرر الذي يتم بقيام نظام اشتراكي، الذي يتحقق حسب رأيه بالثورة فرفع شعاره "أعمل لا أعلم فقط".

اعتبر الاشتراكية" دين الإنسانية" الذي سيحل محل الأديان السماوية، وربما كان فرح أنطون أول من عرف الفكر العربي بعدد من المفكرين من أمثال: ماركس ونيتشه وتولستوي،... وقد دعا فرح أنطون إلى العلم والفلسفة كبديل للدين، وفصل الدين عن الدولة.

Scanned with CamScanner

وذكر خمسة أسباب رئيسة تدعو إلى الفصل بين الدين و الدولة أو العلمنة:

1- إطلاق الفكر الإنساني من كل قيد خدمة لمستقبل الإنسانية، لأن غرض الحكومات الأصلي مناقض لغرض الأديان. إن وظيفة الحكومة هي حماية حرية الإنسان وفي جملتها حرية الفكر؛ أي البحث بالعقل. أما فيما يتعلق بالأديان، فالحقيقة عندها مطلقة ولا حقيقة بعد حقيقتها، ولذلك حدث في الإسلام والمسيحية ما حدث من اضطهاد العلماء والفلاسفة.

2- الرغبة في المساواة بين أبناء الأمة بصرف النظر عن مذاهبهم ومعتقداتهم، ليكونوا أمة واحدة.

3- ليس من شؤون السلطة الدينية التدخل في الأمور الدنيوية، لأن الأديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا، ولأن الأحوال تتغير فلا يصح تدبير الحاضر بالماضي.

4- ضعف الأمة واستمرار الضعف فيها ما دامت تجمع بين السلطتين.

5- استحالة الوحدة الدينية، وهذا أمر من أهم الأمور التي دعت إلى الفتن والاضطرابات الطائفية[1].

تمثلت الاشتراكية العلمية بالأحزاب الشيوعية الموجودة في جميع أنحاء الوطن العربي، فبعد الحرب العالمية الأولى تشكلت أحزاب شيوعية في مختلف البلاد العربية (الحزب الشيوعي الفلسطيني 1919، الحزب الشيوعي التونسي1920، الحزب الشيوعي في مصر1922، الحزب الشيوعي السوري اللبناني 1924، الحزب الشيوعي في العراق 1924، الحزب الشيوعي السوداني 1946،...).

---

[1] حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط6 1998، ص417.

Scanned with CamScanner

تعد المسألة القومية المحور الأساس في فهم الفكر العربي الحديث، لا سيما الماركسية العربية، واختلاف وجهات النظر حولها كانت السبب في انشطار الفكر الماركسي العربي والحركة الماركسية العربية إلى فكرين وحركتين: فكر وحركة ماركسية لا قومية، وفكر وحركة ماركسية قومية، وبالتالي في فهم انهيار فكر وحركة الماركسية اللاقومية منذ أواخر الخمسينيات من القرن الماضي نتيجة تبني المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي عام 1956 لسياسة جديدة عنوانها "التعايش السلمي بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي"، وانحسار فكر وحركة الماركسية القومية منذ أوائل السبعينيات من القرن الماضي بعد نكسة حزيران.

• **الحزب الشيوعي السوري:** ظهر الحزب كمنظمة لها كيانها ودورها على مسرح الحياة السياسية في سورية ولبنان، منذ أن أسسه في سورية فؤاد شمالي مع يوسف يزبك بمساهمة من الحزب الشيوعي الفلسطيني بناء على توجيهات من قيادة الأممية الشيوعية، وفي عام 1936 أصبح "خالد بكداش" أمينه العام.

أهداف الحزب:

مما لاشك فيه أن الحزب الشيوعي السوري كبقية الأحزاب الشيوعية في العالم، هو حزب ماركسي- لينيني طبقي أممي ثوري، يعمل في سبيل تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا، وإقامة المجتمع الاشتراكي (أي جعل وسائل الإنتاج ملكية مشتركة وتوزيع المنتجات بين الناس كل بحسب عمله) والمساهمة مع الأحزاب الشيوعية في العالم لهدم الرأسمالية العالمية، لإقامة المجتمع الشيوعي الذي يقوم على مبدأ "من كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجته".

دور الحزب الشيوعي السوري في الحياة السياسية:

تطور نضال الحزب الشيوعي السوري تدريجياً من خلال طروحاته لمعالجة القضايا العربية الأساسية، والتي يأتي في طليعتها قضية التحرر من الاستعمار القديم والجديد، وقضية

Scanned with CamScanner

الوحدة القومية في مجتمع مجزأ، وقضية فلسطين، وقضايا التغيير السياسي والاجتماعي من منظور الصراع الطبقي لإنهاء الاستغلال، وإقامة نظام سياسي اجتماعي اقتصادي يقوم على الحرية والعدالة الاجتماعية.

لم يدخل الشيوعيون مجلس الشعب إلا في عام 1954، ليتصاعد نفوذهم السياسي ويزداد نشاطهم الاجتماعي، إلى أن وقفوا في وجه الوحدة السورية-المصرية.

تعرض الحزب الشيوعي خلال مسيرته للعديد من الانشقاقات في صفوفه، مما أدى إلى تراجع كبير في دوره، بالرغم من حرصه على التعبير عن رأيه في الصحف والمنشورات.

ثالثاً – المشروع القومي العربي في مواجهة التحديات المعاصرة ومراحله:

المشروع القومي العربي هو مجمل التوجه والفعل نحو استعادة نهضة الأمة العربية ودورها الحضاري في الكل الإنساني. وهو يجابه المشروع الصهيو-أمريكي عن طريق السعي نحو امتلاك وسائل المواجهة والمقاومة وأسبابها والممانعة لمشاريع التفتيت الأمريكية-الصهيونية، فالعرب هم أصحاب الأرض والجغرافيا والتاريخ، والثروات ملك لهم، وهم الذين يجب عليهم أن يقرروا مصيرهم بأنفسهم دون وصاية من أحد.

إن التحديات التي تواجه المشروع القومي العربي تعكس مصالح قوى كبرى تسعى للسيطرة على الوطن العربي لما فيه من ثروات ومواقع استراتيجية؛ لذا كان للتيار القومي والأحزاب المنضوية فيه وعلى رأسها حزب البعث العربي الاشتراكي، سواء في مرحلة القائد المؤسس حافظ الأسد أو حالياً في مرحلة السيد الرئيس بشار الأسد، الدور الرئيس في مواجهة هذا المخطط العدواني.

وقد مرّ المخطط التآمري العدواني الغربي – الصهيوني على المشروع القومي العربي، بمجموعة من المراحل، وهي:

Scanned with CamScanner

المرحلة الأولى:

كانت مع التجربة الناصرية حيث قام أعداء العرب بتقوية جماعة الإخوان المسلمين لمواجهة تلك التجربة القومية والعمل على إضعافها ومن ثم إجهاضها والقضاء عليها، وقد تمكنوا من ذلك فعلاً؛ مستفيدين من عدة عوامل داخلية تتمثل في غياب التنظيم القومي القادر على حماية الأهداف والمبادىء التي رفعتها التجربة الناصرية، وعوامل خارجية تمثلت في تكالب كل قوى الشر في الغرب، وتحالفها مع الصهاينة لضرب أي نهضة قومية للعرب.

المرحلة الثانية:

بدأت مع المشروع القومي الحضاري بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي حيث خططت الدوائر الصهيونية وبمساعدة القوى الغربية والمهيمنة (وحلفائها) للقضاء عليه عن طريق استخدام الدين كسلاح ضد العروبة والمشروع القومي، ووظفت كل التنظيمات الدينية ذات المرجعية الوهابية والإخوانية التي تعتمد النظرية السلفية بعد أن قدمت لها كل الإمكانات والوسائل لكسب المؤيدين ونشر أفكارها، عن طريق تأسيس شبكات من الجمعيات لتقديم المساعدات أو الخدمات الاجتماعية أو مؤسسات تجارية خاصة أو شبكات تصريف العملة وهي مؤسسات عادة ما تستخدم كمراكز نفوذ وتأثير في النسيج الاقتصادي أو الخريطة السياسية في الدولة التي توجد فيها خلايا تابعة لتلك التنظيمات الدينية.

المرحلة الثالثة:

توسعت المؤامرة، وتعددت على المشروع القومي العربي منذ مطلع القرن الحالي؛ إذ يلاحظ أن المتآمرين على المشروع القومي العربي قد طوروا من وسائلهم لتنفيذ السياسة

Scanned with CamScanner

العدوانية التي مارستها الحركة الصهيونية والإمبريالية الأمريكية ضد المشروع القومي العربي، وقاموا باستغلال الأنظمة والحركات الدينية السلفية في العالم العربي بخطيها الوهابي والإخواني والتي تم توظيفها، وقدمت لها الوسائل الإعلامية للعب الدور المحدد لها بإتقان، بحيث واصلت تحالفها وتآمرها مع الدوائر الغربية والأمريكية والصهيونية ضد المشروع القومي العربي.

وظفت أجهزة الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية الحركات الدينية السياسية الوهابية لحسم عدة ملفات مع خصومها السياسيين من دول العالم، فقد تم توظيف تنظيم "القاعدة" في البداية ضد الاحتلال السوفييتي لأفغانستان تحت شعار مقاومة المد الشيوعي والقضاء على نظام الكفر والإلحاد، وقدمت له المخابرات المركزية الأمريكية كل أنواع الدعم المالي والعسكري والسياسي، ثم تمّ توظيفه لخلق الذرائع والمسوغات لاحتلال أفغانستان التي تتوسط قارة آسيا من بحر قزوين الغني بثرواته النفطية ولاحتلال العراق وضرب الانتفاضة الفلسطينية تحت شعار الحرب على الإرهاب.

المرحلة الرابعة:

وهي المرحلة التي انتقلت فيها المؤامرة الصهيونية والأمريكية من معادلة ضرب العروبة بالإسلام التي فشلت في المراحل السابقة جميعها إلى معادلة احتواء العروبة بإحدى التيارات الدينية المتخلفة (إما الحركة الوهابية أو الإخوان المسلمون) والهدف من ذلك هو قطع الطريق أمام حركة التحرر العربي ومشروعها القومي.

وعندما لم تنجح في ذلك أيضاً عادت وأنتجت الجيل الجديد من الحركات الدينية الجهادية – التكفيرية، كان على رأسها تنظيما "داعش" و"جبهة النصرة" الإرهابيان ودفعتهما لاستهداف سورية التي يتولى حزب البعث العربي الاشتراكي القيادة فيها، لأنها

Scanned with CamScanner

تمثل مركز القومية العربية وخط الدفاع الأول في وجه المشروع الأمريكي الإسرائيلي الذي يهدف إلى إعادة تفتيت المشروع القومي العربي.

وأصبحت سورية بفضل السياسة المتميزة التي أنتجتها قاعدةً لحماية فكرة العروبة والدفاع عنها.

رابعاً – أهم الأحزاب القومية:

1– الحزب السوري القومي الاجتماعي:

حزب سياسي قومي يعمل في لبنان وسورية كحزب رسمي، ويدعو إلى إقامة دولة "الأمة السورية" التي تشمل منطقة الهلال الخصيب، بما في ذلك الكويت وقبرص وشبه جزيرة سيناء وجنوب شرق تركيا (الأرض السورية المحتلة – عنتاب – ديار بكر – ماردين – مرسين – لواء إسكندرونة)، وذلك استناداً لرؤية الحزب بأنّ لها تاريخاً مشتركاً وأن الناس فيها أمة واحدة.

أسسه أنطون سعادة في بيروت عام 1932، كحزب تقدمي مناهض للمشاريع الاستعمارية، ويعد السوريين "أمة تامّة" و"سورية للسوريين"، لقد أدى الحزب دوراً في السياسة اللبنانية، وأصبح قوة سياسية يمينية رئيسة في أوائل الخمسينيات، ولكن تم قمعها بشكل كامل في 1955–1956[1].

وبحلول أواخر الستينيات، انضم الحزب إلى اليسار، وتحالف مع منظمة التحرير الفلسطينية والحزب الشيوعي اللبناني، على الرغم من التناقض الإيديولوجي الذي لا يزال قائماً فيما بينهم.

[1] أنطون سعادة، دستور الحزب السوري القومي الاجتماعي وقوانينه 21 تشرين الثاني 1934.

Scanned with CamScanner

انخرط الحزب في المقاومة ضد الغزو الإسرائيلي للبنان عام 1982م، وواصل عمله المقاوم خلال احتلال جنوب لبنان حتى تحريره من العدو الصهيوني عام 2000م.

2- حزب البعث العربي الاشتراكي: نشأ الحزب في بداية الأربعينيات من القرن العشرين، في ظل ظروف موضوعية وذاتية معقدة، وضمن بنية اجتماعية وسياسية واقتصادية تتصف بالسيطرة الداخلية للفئات والطبقات المستغِلة وبالسيطرة الخارجية للدول الاستعمارية. وقد مر حزب البعث العربي الاشتراكي بالمراحل الآتية:

المرحلة الأولى: تمتد من البدايات الأولى حتى التأسيس عام 1947 م، ففي عام 1941 نشأت حركة "نصرة العراق" في دمشق لمساندة الشعب العربي في العراق ضد سياسة الاحتلال البريطاني القمعية، هذه الحركة التي أكدت وحدة المصير القومي، ثمّ تحولت عام 1942 إلى حركة سياسية أطلقت على نفسها اسم "حركة الإحياء العربي" وأعلنت شعارها أمة عربية واحدة ونضال عربي واحد.

وفي مطلع عام 1943 تحولت حركة الإحياء العربي إلى "حركة البعث العربي"، التي حددت منطلقاتها الفكرية في أن "العرب أمة واحدة، والوطن العربي للعرب وحدهم، ولا بد من بعث الأمة العربية وإحيائها ونهوضها واستعادة مكانتها في الحضارة الإنسانية".

المرحلة الثانية: المؤتمر التأسيسي عام 1947

عقد المؤتمر التأسيسي للحزب بين 4 و6 نيسان عام 1947، وصدر البيان الختامي في السابع من نيسان من العام ذاته، وشكل هذا المؤتمر نقطة تحول مهمة في مسيرة حركة البعث، حيث تحولت إلى حزب سياسي له منطلقاته الفكرية وأهدافه، وتحددت بنيته التنظيمية ومؤسساته القيادية، وضبطت حركته الداخلية، وبرز ذلك في الوثائق الأساسية التي أقرها المؤتمر، وهي: الدستور والنظام الداخلي والبيان السياسي.

Scanned with CamScanner

وحدد الدستور الحزب، بأنه "حركة شعبية انقلابية ثورية تناضل في سبيل الوحدة العربية والحرية والاشتراكية" [1].

وحددت الفكرة القومية من وجهة نظر الحزب في وحدة الأمة العربية، وشخصية الأمة العربية، ورسالة الأمة العربية.

وربط الدستور بين الاشتراكية والقضية القومية، وبذلك أعطى للقومية مضموناً تقدمياً.

كما حدد السمة " الانقلابية الثورية" كوسيلة للتعامل مع الواقع وتغييره، والبنية الشعبية الجماهيرية للحزب، والتنظيم القومي، على أنها القاعدة لانطلاق الحزب.

المرحلة الثالثة: القائد المؤسس حافظ الأسد

بدأت المرحلة الثالثة عام 1970 مع الحركة التصحيحية التي قادها القائد المؤسس حافظ الأسد باني الدولة السورية المعاصرة، الذي أكد أن حزب البعث العربي الاشتراكي جاء قومياً في أهدافه، تقدمياً في مضمون أهدافه، ثورياً في أسلوب التعامل مع الواقع وتغييره، جماهيرياً في بنيته وتوجهاته، ومع ذلك فإنه لم يقدم أفكاره ومنطلقاته على أنها نظرية ناجزة كاملة؛ بل بقيت مفتوحة على آفاق التطور تتفاعل معها، وتغتني بها فكرياً. وهذا الانفتاح وقبول التطوير حمى الحزب من الانهيار وسط الظروف السياسية الصعبة.

لقد أكد القائد المؤسس حافظ الأسد على هذه الحقائق بقوله: "لقد استمد حزب البعث العربي الاشتراكي شرف اسمه من إيمانه ببعث الأمة العربية ...، وانطلق من ضمير الأمة العربية، وهو حركة تتفاعل مع الشعب، تتحسس آلامه.... وتستوعب آماله، تذكي روح التمرد على واقع الفساد والتخلف الموروث من عهود الانحطاط والحكم الأجنبي،

[1] نضال حزب البعث العربي الاشتراكي (1943 - 1981) دراسة تحليلية تاريخية موجزة ، القيادة القومية، دمشق، 1981.

Scanned with CamScanner

وتنير له طريق التحرر، وتفجر طاقاته الوفيرة لبناء مستقبله، وتقود خطاه على طريق الوحدة العربية.. ".

خامساً – دور حزب البعث العربي الاشتراكي في مواجهة المشاريع الاستعمارية المعادية:

المرحلة الأولى: قبل ثورة آذار 1963

يتكون الوطن العربي من عدة أقاليم جغرافية، ومنها إقليم بلاد الشام التي تعد سورية جزءاً منه. وقد شهد أحداثاً وتطورات هائلة ولاسيما، بعد اتفاقية سايكس – بيكو 1916 التي وضعت سورية تحت الاحتلال الفرنسي الذي حاول تمزيقها إلى دويلات عدة، لكنها أحبطت جميعاً، واستمرت هذه المحاولات بعد الاستقلال، ولكن بروز تيار قومي تحرري وتصديه للمشاريع التي استهدفت ربط سورية بالدول الاستعمارية أفشل تلك المشاريع، ومع ذلك عاشت سورية لسنوات طويلة بلداً متنازعاً عليه لإدخاله في أحلاف ومخططات استعمارية، وبلداً تمزقه الأهواء بالوقت ذاته، ولهذا رأى البعثيون أن العلاج الأنجع لهذا كله هو الوحدة، وهكذا قامت الجمهورية العربية المتحدة، إلا أن هذه التجربة أجهضت بفعل عوامل عدة، أهمها: العوامل الداخلية التي تتمثل بقوى انفصالية ارتبطت مصالحها مع الغرب؛ فضلاً عن عوامل خارجية تمثلت بسياسات الهيمنة المعادية. إلى جانب أخطاء نظام الوحدة نفسه.

فشلت التجربة الوحدوية، لكن الإيديولوجية الوحدوية ظلت قوية مع شيء من التبعثر، وما أن جمعت قواها حتى سعت إلى إزالة الانفصال بقيام ثورة الثامن من آذار عام 1963م بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي، واستطاعت أن تضع رؤية شاملة واستراتيجية متكاملة لتطوير المجتمع، وبدأت بوضع الخطط التنفيذية لها على أرض الواقع،

Scanned with CamScanner

وقد أسهمت هذه المواقف والإجراءات في اتساع شعبية الحزب داخلياً وقومياً، وشهدت هذه المرحلة بروز قيادات نضالية وعلى مستوى عالٍ من الوعي السياسي والاقتصادي.

المرحلة الثانية: بعد ثورة 1963

قدّم حزب البعث العربي الاشتراكي الذي وصل إلى السلطة في سورية سنة 1963 الدعم لفلسطين، واعترض بدوره على سياسات فرض الأمر الواقع المتمثلة بإقامة الكيان الصهيوني (1948) وسياسات الأحلاف المعادية.

ومع هذا لم تنجح محاولات إحياء الوحدة، وكانت مأساة عدوان حزيران 1967م، ومشكلات لا تعد ولا تحصى، حتى كان فجر التصحيح في 16 تشرين الثاني 1970م بقيادة القائد المؤسس حافظ الأسد.

ومنذ التصحيح لم تتوقف محاولات بناء التضامن العربي والعمل العربي الموحد ، وجاءت حرب تشرين التحريرية 1973م على الجبهتين السورية والمصرية ضد الكيان الصهيوني الإرهابي كتجسيد لوحدة المصير، ونتيجة التحولات النوعية في الواقع التي حققها القائد المؤسس حافظ الأسد داخلياً وعربياً ودولياً.

المرحلة الثالثة: السيد الرئيس بشار الأسد

تمكنت الدولة الوطنية السورية بقيادة الأمين العام للحزب السيد الرئيس بشار الأسد، قائد مسيرة التطوير والتحديث، من الصمود أمام أشد الحروب وأشرسها دموية وتدميراً، بواسطة الآلة الحربية الاستعمارية الرهيبة؛ وبواسطة عشرات آلاف من الإرهابيين المرتزقة والغرباء الذين تم إدخالهم إلى سورية تحت مسميات وغايات عديدة ومختلفة خدمة وتجييشاً ورفداً للمشروع الاستعماري الجديد.

Scanned with CamScanner

واستطاعت سورية الوقوف في وجه الخطر الاستعماري الجديد الذي يهددها ويهدد العروبة ، وهو مختلف تماماً عن أخطار الماضي، رغم أنه يشكل امتداداً لها.

فقد تطور وتجاوز كونه خطراً يهدد تحقيق المشروع القومي العربي، والإبقاء على الصيغة القديمة لتفتيت الوطن العربي وتجزئته؛ بل تخطّى ذلك إلى تدمير الدولة القُطْرية، والعمل على تطبيق الرؤى الاستعمارية الجديدة في إنشاء "دولة السوبر ماركت" على حطام دولة ما بعد الاستقلال، أو استبدالها بإنشاء مناطق وكيانات غير معروفة تشبه الحكم الذاتي.

وبسبب أفكاره المتجددة والداعية لوحدة العرب والحفاظ على هويتهم ومقدراتهم وخيرات بلادهم، فقد اصطدم الحزب وفكره بالقوى الرأسمالية العالمية؛ مما دفع بالولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في القارة الأوروبية إلى جرّ المنطقة لحروب وفتن تقوم بإشعالها بين الفترة والأخرى، وكان آخرها دعم التنظيمات الإرهابية في سورية والعراق والعمل على تصفية الشخصيات السياسية والعسكرية والثقافية والعلمية؛ فضلاً عن الخبرات والكفايات؛ بهدف تصفية الفكر القومي والعروبي.

إن الفكرة القومية في وطننا العربي ليست في أفضل أحوالها اليوم، وتتطلب برنامجاً عملياً للتصدي لمؤامرات المرحلة الحالية، وهي المهمة التي وضعها السيد الرئيس بشار الأسد الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي في سورية على عاتقه، وطرح برنامجاً متكاملاً لذلك، في الملتقى العربي لمواجهة المخططات الغربية والأمريكية، ودعم مقاومة الشعب الفلسطيني الذي انعقد في دمشق في العام 2017، فقد تناول مسائل فكرية واستراتيجية تتصل بالعمل القومي في لحظة تاريخية مهمة، مثل وضع إطار سليم للعلاقة بين العروبة والإسلام، ومواجهة هجمة العولمة على الهوية القومية، والنأي بالفكرة القومية

Scanned with CamScanner

عن المفهوم العِرقي، وتكريس المفهوم الحضاري والثقافي للعروبة لاستيعاب "الإثنيات" العِرقية في الوطن العربي في إطار المواطنة المتساوية، وهي الإثنيات التي أسهمت في النهضة العربية والثقافة العربية، حيث يجمع مفهوم العروبة الجميع لأنه مفهوم ثقافي وحضاري وتاريخي غير عرقي. وعدّ الانتماء القومي أساس أي حديث بناء عن الديمقراطية والمشاركة، والتمييز ما بين العروبة الرسمية التي تمثلها الأنظمة الرجعية وسياساتها التابعة، والعروبة كهوية وانتماء، والتمييز بين مواقف بعض الفصائل والشخصيات الفلسطينية وممارساتهم وفلسطين كقضية عربية[1].

على الرغم من كل الانتكاسات التي تعرض لها المشروع القومي العربي، فإنه لم يُحرم فرصة النهوض من جديد، وهذه الفرصة منحته إياها سورية بصمود شعبها وجيشها بقيادة الرئيس بشار الأسد، الذي أكد على موقف سورية الثابت والمبدئي من القضايا المركزية للأمة العربية، وعلى رأسها قضية فلسطين والأراضي العربية المحتلة، وإن مشروعنا القومي العربي هو الضمانة الحقيقية لمستقبل العرب والذي يتحتم علينا أن ننتصر له جميعاً.

[1] كلمة السيد الرئيس بشار الأسد أمام المشاركين في الملتقى العربي لمواجهة الحلف الأمريكي الصهيوني الرجعي 2017/11/14.

Scanned with CamScanner